

تعلمت من كتاب فوبان

والعسكرية الفرنسية في عهد لويس الرابع عشر





تعلمت من كتاب فوبان والعسكرية الفرنسية في عهد لويس الرابع عشر

عرفت شخصية الجنرال الفرنسي سيباستيان دي فوبان الذي عاش في عصر الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، هذه الشخصية العسكرية الفذة التي تحمل كل سمات القائد العسكري الموهوب بالفطرة. لقد أحدث فوبان ثورة في التاريخ العسكري حيث وصل فوبان في العصر الذي ازدهر فيه استخدام البارود في الحروب وغيّر مفاهيم التحصين العسكري، عندما أصبحت الأسوار العالية التي كانت سمة القلاع الحصينة وبالاً على المدافعين، فهذه الأسوار التي كانت تحميهم من السهام وقذائف المنجنيق باتت تقع على رؤوسهم فتدفنهم بين حجارتها الكبيرة، وجاء فوبان ليستبدل الأسوار العالية الشامخة بالأسوار منخفضة الارتفاع، وليستبدل أشكالها المنتظمة الدائرية أو المربعة الجميلة الى الأشكال النجمية الحصينة ضد قذائف المدافع الفتاكة.

واخترع فوبان ذاك المبدأ السائد الى يومنا هذا في التحصين ألا وهو الزاوية الدفاعية، التي تصعِّب الهجوم على العدو وتقلل من مجال نيرانه، وعلى العكس توفّر للمدافع مجال الرؤية والنيران الواسعين، وقد يقع المهاجم بين زاويتين دفاعيتين فتكون مقتلة له. وللزوايا الدفاعية المتكاملة أشكال عديدة بحسب طبيعة الأرض وشكل القلعة أو الحصن.

وتعلمت من كتاب فوبان مراحل التحصين العميق للقلعة أو الحصن، فرأيت في تلك التحصينات كيف يشترك في الدفاع الحجر والخندق والماء والظلام والمنحدرات والطرق بل حتى الطبول والموسيقى، فتتدرج التحصينات أمام العدو من: الأعمال الدفاعية المنفصلة الى الأعمال الدفاعية الأمامية الى ساحات الإغراق الى التحصينات الأمامية وتحصينات البوابة الى الخندق ثم الساتر ثم المُنحَدَر ثم السور. حيث لا تسمح هذه التحصينات المتتالية للمهاجم بالتقاط الأنفاس وتستنفد جنوده ومدفعيته وباروده



ومعنوياتـه.

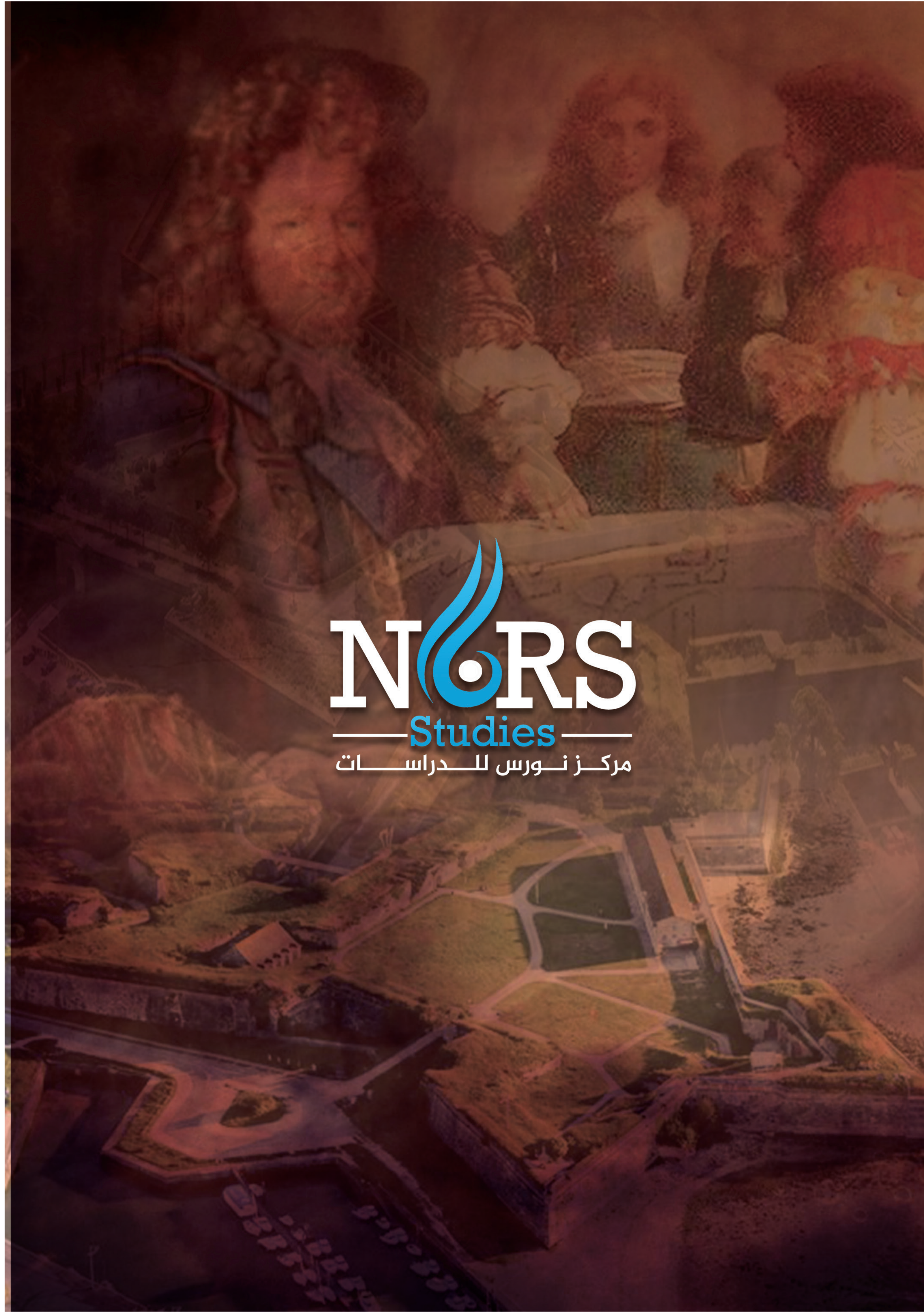
وللمفارقـة فقـد اختـرع فوبـان أفضـل الطـرق لاختـراق الدفاعـات التـي ابتكرهـا بنفسـه، فإليـه يعـود ابتـكار الهجـوم بحفـر الخنـادق، وبمـا أن كان فوبـان يحـرص على حقـن دمـاء جنـوده مـا أمكـن خلافـاً للكثيـر مـن القـادة العسـكريين، فقـد ابتكـر طريقـة لحفـر خنـادق محصنـة ومسـتورة عـن أنظـار العـدو بطرائـق هندسـية بديعـة حتـى تصل هـذه الخنـادق الـى أسـوار العـدو فتبـدأ المرحلـة الثانيـة في اسـتخدام البـارود لنسـف الأسـوار والبـدء بالاختـراق على مرحلتيـن أو ثلاثـة مراحـل، كل هـذا وفـق تفصيـلات دقيقـة لـكل شـبر مـن أعمـال الحفـر واسـتخدام البـارود والاقتحـام الليلـي مـع اتخـاذ التدابيـر لمنـع الأخطـاء وتداخـل القـوات، ودون أن يُغفِـل خسـارته للمفاجـأة بهـذا الطريقـة فيضـع خططـا تعـوّض مـن ذلـك.

وتعلّمـت مـن كتـاب فوبـان كيـف صاغـت عقليـة فوبـان العسـكرية القائمـة على التحصيـن شـكل السياسـة التـي اتبعهـا الملـك لويـس الرابـع عشـر (الملك الشـمس)، فتوسّـع في أوروبـا ثـم وضـع الحصـون مما رسـم الشـكل السياسـي والجغـرافي لفرنسـا للمـرة الأولى، وحـذت أوروبـا حـذوه لاحقـاً فكانـت الحـدود السياسـية التـي تسـتند الـى الحصـون التـي يحوزهـا طـرف على حسـاب طـرف آخـر.

وتعلمـت مـن كتـاب فوبـان كيـف كان عهـد لويـس الرابـع عشـر هـو العصـر الذهبـي للإمبراطوريـة الفرنسـية، فتوسـعت في أوروبـا وأخضعـت الامبراطوريـات المجـاورة وفرضـت عليهـا معاهـدات مذلـة، حتـى أصبحـت فرنسـا القطـب الأساسـي في أوربـا واللغة الفرنسـية اللغـة السـائدة والثقافـة الفرنسـية الثقافـة العالميـة التـي انتشـرت في العالـم وخصوصـا في مسـتعمرات فرنسـا الكثيـرة في القـارات الخمـس. وكيـف كانـت سـلطة الملـك المطلقـة سـببا لنشـوب الحـروب الخارجيـة أو حتـى الحـروب الأهليـة داخـل فرنسـا، مثـل الحـرب التـي

نشبت بعد اعتناق لويس الرابع عشر المذهب الكاثوليكي وحكمه باضطهاد اتباع المذهب البروتستانتي وطردهم وتعذيبهم وقتلهم، وكيف جلبت حروب الملك سعياً لإرضاء مجده الشخصي الفقر والفاقة لطبقة واسعة من الفرنسيين، مما وضع البذور الأولى للثورة الفرنسية التي اندلعت بعد نحو سبعين عاما وألغت الملكية وغيرت وجه أوروبا بل والعالم بأسره.

وتعلمت من كتاب فوبان كيف كان بدء استخدام الأسلحة النارية ثورة في عالم السلاح والحروب، وعرفت بالصور كيف كانت النماذج الأولى للبندقية موسكيت التي تعتبر البندقية الأم لكافة الأسلحة النارية الحديثة، والنماذج الأولى للمدفعية وقذائفها المتنوعة التي تعتبر المدفعية الأم لكافة أنظمة المدفعية والصواريخ التي تطورت لاحقاً. وعرفت أن طريقة استخدام السلاح هي التي تحدد أهميته في المعركة، فكان حسن استخدام البندقية موسكيت بشكل جماعي ومنظّم ومرتب وفقاً لجدول زمني الى جانب سلاح المدفعية عاملاً حاسماً في المعارك، فلا يوجد سلاح فعال وآخر غير فعال بل يوجد خطط فعالة وأخرى غير فعالة وقادة ناجحون وآخرون فاشلون.


NORS
Studies
مركز نورس للدراسات